

المسلمون والنصارى

محاضرة تاريخية القاها في نادي الشبيبة الانجليزية بحيفا

في ١٤ ايلول سنة ١٩٢٧

السيد عبد الله فخلص

عضو المجمع العلمي العربي

نشرت تباعاً في جريدة الزهور بحيفا

لمصاحبها وصاحب مجلة الزهرة ومحررها

جميل البحري

كلمة للناس

هذه محاضرة القاها حضرة الصديق البعثة المدقق السيد عبدالله
مخلص عضو المجمع العلمي العربي بدمشق في احد مجتمعات حيفا
الادبية ونشرت على الاثر في جريدتنا « الزهور » في الاعداد ٣٦
و ٣٧ و ٣٨ من سنتها الاولى لتمام فائدتها كل من لم تمكنه الظروف من
استماعها . وقد لاقت يومذاك من التأثير وحسن الوقع في القلوب ما
امطر الصديق وابلا من عبارات الثناء خصوصا وقد جاء موضوع هذه
المحاضرة في وقت كانت البلد الفلسطينية اشدها ما يكون احتياجا الى
مواضيع امثاله تعالج ادواءنا وتذكر بما غير من ايامنا الخجيدة . . .
ثم مضت الايام وهذه سنة تمر تقريبا ، واذا باصابع السوء تلعب
في المحيط الفلسطيني ، واذا بها تزداد تغلغلا في صفوف الامة ، واذا
بعمى الاتفاق والاتحاد يكاد يفصمها سوء تفاهم بين ابناء الوطن الواحد
واذا بكلمتي مسلم ومسيحي يكثر ترددها على الالسنه مقرونين بشيء
من الرغبة في التفوق والظهور كل على الآخر ، واذا بالمسلمين والنصارى
في فلسطين تزداد الفشة منهما تباعداً عن الاخرى بعد ذلك التقارب
الذي ضرب بين الناس مثله ، وبمد تلك الوحدة القومية والوطنية التي
حمد الملا معاها ومسعى اربابها بعيد الحرب الكونية الكبرى ،
فتفتحت عيون الاعداء حولنا وشتمت قلوب الخصوم فينا فطلبوا لهذا
الانفكاك وزمروا ولعبوا ما شاءوا وشاءت سياستهم من الادوار ونحن
لاهون عما يجري حولنا ومتهنون في النجحت بعضنا من اثلة البعض الآخر

ان لم يكن علانية ففي الخفاء وفي الاجتماعات الخاصة . . .
نقول هذا والاسف يملا منا القلوب ولكن هي الحقيقة الواقعة الجارحة
نسطرها عساها تكون عبرة يعتبر بها المعبرون .

شعر الغدير على النصلحة العامة بسوء مغبة هذه الحالة وهبوا لتلافي
الشر قبل ان يستعصي الداء فيعز الدواء ، وتذكر البعض محاضرة
الصديق فطلبوا اليانا ان نعيد اليوم نشرها والوقت وقتها وهي خير ما
يلقى من الدروس الوطنية على الامة في هذا الوقت العصيب ، فنزلنا
عند طلب الطالبين وشكرنا لحضرات الفضلاء غيرتهم وها اننا نرفها
في هذه الرسالة الصغيرة .

على اننا قبل ان نختم هذه الكلمة الاولية لا نرى بداً من سرد
قصة تجضرنا وقد طالما سمعنا اباؤنا يقصونها ويقصون امثالها علينا دلالة
على مبلغ الاتحاد الذي كانوا عليه في عصر «الجهل» السابقة وقيسون
بينها وبين عصر «المدنية والعلم» عصرنا الحاضر . والقصة واقعية
جرت في حيفا لاربعين سنة خلت تقريباً وهي :

وقع يوماً مسيحي قتيلاً برصاصة طائشة من بندقية مسلم فقام
المسيحيون يطالبون بدم قتيلم ولما كانت الحادثة حادثة قضاء وقدر
تفاهم شيوخ القوم على ان يدفع المسلمون للمسيحيين دية قتيلم وقيمتها على
ما هو معروف في ذلك الوقت . سلسلة ثلاثيات من الارقام الهندية
(٣٣٣٣٣) وتم الاتفاق وحان وقت الدفع فطالب المسلمون المسيحيين
ان يشاركوهم في دفع نصف قيمة الدية فدهش المسيحيون لهذا الطلب
وهم اهل القتل والمسلمون وحدهم هم المسوءولون عن دمه . فابرز
المسلمون عندئذ صك اتفاق بين مسلمي حيفا ومسيحييها هو وقع عليه
من شيوخ البلدة ووجهائها بنص على ان المسلمين والمسيحيين متفقون
فيما بينهم ومتعاهدون على ان يكون للواحد ما للآخر وعليه ما عليه في

كل ما يطرأ من ديّات وغرامات وتعديّات وان تشارك الفئة الأخرى
بماضفة في دفع ما يتطلب منها دفعه إيجاباً لروح السلام فيما بين الملتين
الشيقتين وإذنا بما بينهما من اخوة واتحاد لا تقوى على فهم عراها
أيدي الخوارج ولا اصابع السوء ، فاذعن المسيحيون للاتفاق ودفعوا
نصف المطالب من المسلمين دفعه بطيبة خاطر .

هذه قصة نترك للقارىء الكريم التفكير في مبلغ ما فيها من العبر
ونسأل الله ان يسدد خطواتنا في خدمة الوطن العزيز وان يوحد
القلوب بما فيه خير البلاد والسلام

محمد العسلي

شهر حزيران سنة ١٩٢٨

صاحب مجلة الزهرة وجريدة الزهور

بيضا حيفا

المسلمون والنصارى

تهويل

لما دُعيت الى هذا النادي الزاهر لأخطبكم فيه وقمت في
 سبعين بيص وَاخَذْتُ اضْرِبَ اِخْمَاسًا فِي اَسْدَاسٍ لَا لَاتِي لَمْ
 يَكُنْ مِنَ اَلْحَطْبَاءِ الْمَصَادِقِ الَّذِيْنَ يَلْعَبُونَ بِالْعُقُولِ وَيَسْتَشِيرُونَ
 اَلْعَوَاطِفَ بَلْ لَاتِي مِنَ الَّذِيْنَ لَا يَزَالُونَ يَنْتَاقُونَ قَدِيمِهِمْ
 وَيَشِيدُونَ بِذِكْرِهِ وَبِالتَّعْبِيرِ الْجَدِيدِ رَجَعِي يَا لَفِ الْمَاضِي وَيَأْنِفُ
 مِنَ التَّجَدُّدِ بَعْضُ اَنْوَاعِهِ الْمَمْلُوءَةُ بِالسَّخَائِفِ وَالسَّخَائِمِ بِخِلَافِ
 اِحْتِجَابِنَا اَلْمُتَجَدِّدِيْنَ الَّذِيْنَ هَامُوا بِجَدِيدِهِمْ وَجَنُّوا بِهِ جَنُونًا مُطَبَّقًا
 فَاَنْسَاهُمْ قَدِيمِهِمْ حَتَّى اَلْحَدِيثُ مِنْهُ وَقَطَعُوا كُلَّ رَابِطَةٍ لَهُمْ فِيهِ مَعَ
 اَنْ لِكُلِّ مِنْهَا حَسَنَاتٌ وَسَيِّئَاتٌ وَالنَّاسُ بَيْنَهُمَا وَمَا يَشْتَمُونَ
 وَمَا تَهْوِي اِلَيْهِ اَفْتَدْتَهُمْ .

ولذلك كنت وانا اتمق هذه السطور اقدم قدما واواخر
 اخرى لانها ستعرض عليكم صفحة من ذلك التقديم المملوء
 بالمفاخر مما يجب ان ينسج على منواله وان يحتذى مثاله في
 هذا الشرق البائس وفي مثل هذه الأيام العصيبة . فان فيه

المثل الأعلى للتسامح والتساهل وحسن الصنيع والإيثار والشتم
وغیره من مكارم الاخلاق وطيب الأعراق التي اشتهر بها
العرب وورثها الاباء الأبناء والأحفاد

أما موضوع كلامي فسيكون « المسلمون والنصارى »
الذين اذا انفقوا في هذه الأرض المقدسة التي تروى بدماء
اجدادهم وابائهم وعملوا على حفظ كيانها ورفع شأنها استطاعوا
ان يستبقوها للعرب وان يحتفظوا بها للأجيال القادمة التي
اسأل الله ان يعينها على ما استلقيه من نكبات وأهوال
وسأبدأ كلامي بما ورد في القرآن العظيم وهو كتابنا السماوي
الذي انزل على النبي العربي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى
اخوانه الانبياء ثم اردفه بما جاء في السنة سنة ذلك الرسول
الكریم والكتاب والسنة عند المسلمين هما لباب الاحكام
ومرجع المعاملات و يأتي بعدها القياس والاجماع فأقول

النصارى في الكتاب

جاء في القرآن العظيم :

«لتجدنَّ اشدَّ الناسَ عدواةً للذين آمنوا اليهودَ والذين

اشركوا ولتجدنَّ اقرَّ بهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا انا

نصارى ذلك بانّ منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون»
 وجاء أيضاً: «لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن»
 وجاء أيضاً: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين
 ولم يخرجوكم من دياركم ان تبرؤهم وتقسطوا اليهم ان الله
 يحب المقسطين»

وجاء أيضاً: «قولوا آمنا بالله وما انزل اليك
 وجاء أيضاً: «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
 لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم
 الله كثيراً»

وجاء أيضاً: «اولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم
 الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يفعلون»
 وجاء أيضاً: «ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى
 والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم
 عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون»

الى غير ذلك من الآيات البيّنات وفيها من الوضوح
 والصراحة ما لا يحتاج بعدهما الى اقامة دليل او برهان على ان
 الدين الاسلامي يعتبر النصارى اقرب الناس مودة للمسلمين
 ويقرّ لرجال دينهم الحرمة اللائقة بهم

النصارى في السنة

جاء في كتاب انسان العيون في سيرة الأمين والمأمون وهو احد كتب السير التي تضمنت سيرة حياة النبي ويسمى السيرة الحلبية ايضاً نسبة الى مؤلفها برهان الدين الحلبي ان وفد نصارى نجران لما وفدوا على الرسول وكان عددهم ستين راكباً أرادوا الصلاة في مسجده الذي نسميه اليوم الحرم المدني لوجوده في يثرب مدينة الرسول فاراد الناس منهم فقال الرسول دعوهم ، فاستقبلوا المشرق وصلوا صلاتهم وهم بثياب الحبرة وأردية الحرير مختمين بخواتم الذهب ونجران كما لا يخفى على المظلمين منكم هي بيت عبادة كانت لبني الحارث بن كعب وكانوا يعظمونها بل هي من البيوت العظيمة عند نصارى العرب بدليل تسميتها كعبة نجران وكانت في مخاليف اليمن من ناحية مكة وقد بنيت على مثال الكعبة مضاهاة لها وكان فيها اساقفة معتمون وقد جاء في كتب الحديث والتاريخ ان النبي اوصى بقبط مصر خيراً بقوله : اذا اقتحمت مصر فاستوصوا بالقبط

خيراً فأن لهم ذمة ورحماً
 وفي السنة النبوية ما هو أبلغ من هذا وذلك فقد
 روى لنا البخاري ان الرسول حين مات النجاشي ملك
 الحبشة - وهو الذي كان أحسن وفادة رسل الرسول لما
 جاؤوه بالدعوة الى الاسلام واكرم مشوى المسلمين الذين
 هاجروا الى الحبشة من اضطرهاد قريش لهم وهم في مكة - قال
 مات اليوم رجل صالح فتوموا فصلوا على اخيكم أصحمة
 وفي رواية استغفروا لـ اخيكم

وأصحمة هذا هو ملك الحبشة وكان نصرانياً

في عهد الخلفاء الراشدين

نستفتح هذا الفصل بالجملة البلامية التي جاءت في خطاب
 ابي بكر الصديق خليفة الرسول الأول الذي قال وسوف
 تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما
 فرغوا انفسهم له ونثني بالحادثة الآتية

يكاد يتفق اهل التاريخ على ان الخليفة الثاني لرسول الله
 عمر ابن الخطاب قد شد الرحال من المدينة في الحجاز الى
 بيت المقدس في فلسطين حباً في حقن الدماء ونزولاً على

أرادة النصارى الذين طلبوا بلسان بطريركهم صوفرونوس
 قدوم عمر ليستلم المدينة واحتمل متاعب ذلك السفر الطويل
 الشاق وهاهد النصارى ذلك العهد السهل السميع الذي
 أباح لهم فيه حرية الإقامة مؤقتاً او دائماً او السفر مع الروم
 الذين اخذوا يجلون عن البلاد ومن اهم ما تساهل به عمر
 هو مراعاته لشعور النصارى بقوله في تلك الهدية

« وانه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها
 ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من اموالهم
 ولا يكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم ولا يسكن
 بايلياء معهم أحد من اليهود . وايلياء هذه هي بيت المقدس
 وعلى ذكر خبر فتح البيت المقدس على يد الخليفة عمر
 فلنذكر له بخير ما أبداه من اصالة الرأي وبعد النظر في
 صلاته بجانب كنيسة القيامة وتحت حنية كنيسة المهد
 في بيت لحم فقد قص علينا البطريرك افثيشيوس المكنى
 بسعيد بن بطريق في كتابه انه لما ادركت عمر الصلاة
 وهو في صحن الاولى قال للبطريرك « اريد ان اصلي »
 فقال له صل في موضعك يا امير المؤمنين فقال عمر « لا

اصلي هنا» فأخرجه البطريرك الى كنيسة قسطنطين وطرح
 له حصيراً في وسط الكنيسة فقال عمر لا ولا هنا ثم خرج
 عمر الى الدرجة التي على باب كنيسة مار قسطنطين مما
 يلي الشرق فصلى وحده على الدرجة ثم جلس وقال
 لصوفرونوس البطريرك أتدري لم لم اصل داخل الكنيسة
 قال لا فقال له عمر لو صليت داخل الكنيسة لكانت تفلت
 منك وتخرج عن يدك ويأخذها المسلمون منك بهدي
 ويقولون هنا صلى عمر ولكن إئتني بقرطاس فاكتب لك
 سجلاً فكتب عمر سجلاً على ان لا يصلي احد من المسلمين
 على الدرجة الا واحد فواحد ولا تجمع فيها صلاة ولا يؤذن
 عليها ودفع السجل الى البطريرك

اما عن كنيسة بيت لحم فقد قال

ثم ذهب عمر الى بيت لحم لينظرها فحضرت الصلاة
 فصلى داخل الكنيسة عند الحنية القبلية وكانت الحنية كلها
 منقوشة بالفيسفساء وكتب عمر للبطريرك سجلاً ان لا
 يصلي في هذا الموضع من المسلمين الا رجل بعد رجل ولا
 تجمع فيه صلاة ولا يؤذن فيه ولا يغير منه شيء

يقول ابن البطريق « وفي عصرنا هذا خالف المسلمون
سبيل عمر الخطاب فقلعوا الفسيفساء من الحنية وكتبوا فيها
ما احبوا وجمعوا الصلاة وأذّنوا فيها وكذلك فعلوا في
الدرجة التي كانت على باب كنيسة قسطنطين التي صلى
عليها عمر واخذوا نصف دهليز الكنيسة وبنوا فيه
مسجداً وسموه مسجد عمر » انتهى كلام ابن البطريق

قلنا ويظهر ان الحنية القبلية قد أُعيدت فوراً للنصارى
لوجودها داخل الكنيسة ولا علاقة للمسلمين بها اليوم او
قبلها ما الجامع العمري فعلى ما يظهر من وصف المؤرخ ووضع
الكنيسة اليوم انه بني على الدرج الخارجي لها
ومما نذكره على سبيل الاستطراد عن كنيسة بيت لحم
ان عبدالله بن عمرو بن العاص كان يبعث بزيتٍ يسرج
فيها حيث ولد عيسى عليه السلام

ومن الاعمال التي تلفت النظر وتستلزم الدقة والانتباه
وتدل على تسامح المسلمين مع اهل الذمة وحمائيتهم لهم ما
رواه البياذري عن ردة المسلمين الخراج على اهل حمص عندما
اضطروا الى مفارقتهم والقدم الى اليرموك لقتال الروم قال

لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين اقبالهم
اليهم لوقعة اليرموك ردوا على اهل حمص ما كانوا اخذوا منهم
من الخراج وقالوا: شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فانتم على امركم
واثبتوا بذلك ان الخراج وهو ما يؤخذ عن الارض
والجزية وهي ما تؤخذ على الرؤوس وغيرها من الضرائب
هو اجر الخدمات العامة التي تقوم بها الدولة تستوفيه لقاء حفظ
الارواح وحماية الحقوق واستبقاء الانسان آمناً في عقر داره
في ذلك الزمن الذي كان فيه الحق للقوة

اما في هذا العصر الذي يسوده عصر النور والمدنية ظلماً
وعدواناً والذي لا يتجلبون من نعمته بانه عصر القوة للحق
فتعجبني الضرائب لتحويل اوطان السكان الى آخر بين واحياء
اللغات الدارسة وسك النقود من ورق وورق في لغات ثلاث
الامر الذي لم تره الاجيال السالفة ولم تروه التوار يخ والخلق
الاذى بالضعيف الذي لا حول له ولا طول لاسترضاء القوي
ذي البأس والمراس . ومن ابناء هذه الامم المتسدنة من يقول
بان الضرائب رسم ضمان وان الحكومات التي تنقضها هي
بمثابة شركات الضمان الضامنة للأنفس والاموال والشركات

في الدولة الاموية

الدولة الاموية دولة عربية قحة وقد كان خلفاؤها
يحسنون معاملة النصارى فمن التسهل المحمود الذي كان يديه
عبد الملك بن مروان نحو الاخطل التغلبي الشاعر النصراني
الذي كان يدخل على الخليفة وهو يترنح ثملاً ذلك الشاعر
المتهم الذي لا يبالي ان يقول :

ولست بصائم رمضان طوعاً ولست بأكل لحم الأضاحي
ولست بقائم ابداً أنادي قُبَيْل الصبح حي على الفلاح
ولست بزاجر عيساً بكوراً الى بطحاء مكة للنجاح
ولكني سأشربها شمولاً وأسجد عند منبلج الصباح
بل ذلك الشاعر الجريء الذي يجيب الخليفة على سوءه

لم لا تسلم ؟ بقوله :

ان انت احللت لي الخمر ووضعت عني صوم رمضان اسلمت
ويقول اذ يسأله الخليفة : ما بلغ منك الشراب ؟ قال
يا امير المؤمنين اذا شربتها فالموت اهون علي من شِيعِ نعلي !
فقال قل فيه شعراً فقال :

اذا ما ندمي علي ثم علي ثلاث زجاجات لمن هدير
 جعلت اجر الذيل مني كأنني عليك امير المؤمنين امير
 من هذا التساهل المحمود الى ثقته بالنصارى وتوليهم
 خدمة المسجد الاقصى في بيت المقدس فقد روي لنا مجير الدين
 الحنبلي في كتابه الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل « انه
 كان للمسجد الاقصى عشرة خدام من النصارى يتوارثون
 خدمته في عمل الحصر وكنس حصر المسجد وكنس القناة
 التي يجري الماء فيها الى الصهاريج وكنس الصهاريج

وربما قال قائل ان هذه على كل حال خدمة لا تستوجب
 التشرىف والفخر فنجيب عليه ان خدمة بيوت العبادة لا سيما
 ما كان منها مثل المسجد الاقصى مشتركاً بين الامم فقد كان
 زونا للمشتري فاصبح هيكل لليهود ثم صار بيعة للنصارى ثم
 عاد مسجداً للمسلمين يقصد اليه الزوار من كل صوب وحدث
 على اختلاف الملل والنحل ان مثل هذه الخدمة هي مدعاة
 للتفاخر والتباهي زد على ذلك ان خلفاء بني امية قد اقتصوا
 النصارى بالخدمات الخفيفة وعهدوا بالثقيلة منها الى اليهود فقد
 كان للمسجد عشرة رجال منهم ايضاً وتوالدوا فصاروا عشرين

رجالاً لكنس اوساخ المسجد الناشئ في المواسم والشتاء
والصيف ولكنس المطاهر التي حول الجامع وكذلك عمل
زجاج القناديل والاقداح والثرديات كان من شأن عمال اليهود
الذين كانوا ينفون وسائر الخدم من الجزية اي من الضرائب
ولا بد انكم تعلمون جميعاً ان حجة كنيسته القيامة هي
اليوم في ايدي عائلة اسلامية وهم يجلسون على مصطبة الكنيسته
بمسائهم وجبايتهم ولا يستكبرون عن خدمة كنيسته للنصارى
كما ان المسلمين لا ينكرونها عليهم بل يعدون ذلك خدمة
تستلزم المباهاة

وما يذكر لعمر بن عبد العزيز المعروف بورعه وثقواه
وهو احد خلفاء بني امية انه اعطى بطريقاً الف دينار يستألفه
على الاسلام (١)

هذا غير احطافاء معاوية بن ابي سفيان باني مجد تلك الدولة
الاثيل ابن اثال الطيب النصراني لنفسه وافتقاده له واعتقاده
فيه وغير استصحاب الحجاج بن يوسف الثقفي عامل المراقين
تادوق الطيب واستخدامه اياه في صناعة الطب واعتماده عليه
وثقته به ومدأواته

في الدولة العباسية

ليس ادل على ما كان للنصارى من الحرمة الوافرة في الدولة العباسية اكثر من هذه القصة التي رواها لنا ياقوت الحموي في كتابه ارشاد الارب الى معرفة الاديب المعروف بمعجم الادياب او طبقات الادياب عن القاضي اسمعيل بن اسحق قاضي بغداد فقد قال « ودخل الى القاضي اسمعيل بن اسحق عبدون بن صاعد الوزير وكان نصرانياً قدام له ورحب به فرأى انكار الشهود ومن حضره فلما خرج قال لهم قد علمت انكاركم والله قد امرنا بان نبر من لم يقاتلنا في الدين ولم يخرجنا من ديارنا وهذا الرجل يقضي حوائج المسلمين وهو سفير بيننا وبين خليفتنا وهذا من البر فسكت الجماعة » (١)

قاضي من قضاة المسلمين بل قاضي قضاتهم في بلاد هي عاصمة السلطنة ودار الخلافة يقوم في مجلس حاكمه وامام الشهود والمتداعين لنصراني يدل على تسامح كبير واهتمام عظيم من رجل يمثل الشرع الاسلامي وينم عن الحالة الاجتماعية في ذلك الزمن اذ يقول عن ابن صاعد انه سفير بين المسلمين

(١) معجم الادياب ج ٢ ص ٢٥٦

و بين خليفتهم

وترجم ياقوت في كتابه هذا الى اسحق بن يحيى بن شريح
الكاتب ابو الحسين النصراني وقال ذكره محمد بن اسحق
النديم في كتابه الفهرست وقال انه كان جيد المعرفة بامر
الدواوين والخراج ومناظرة العمال وله معرفة تامة بالنجوم .
وقال انه كان حياً في سنة ٣٧٧ هجرية الموافق لسنة
٩٨٧ ميلادية

وكذلك كانت الحالة في زمن الامارة الاخشيدية في
مصر في خلافة العباسيين فقد نقل المقرئ في خطه وصف
المسعودي المورخ ليلة عيد الغطاس في سنة ٣٣٠ هـ ٩٤١ م
بقوله ولقد حضرت ليلة الغطاس بمصر والاشيد محمد بن طنج
امير مصر في داره المعروفة بالمختارة في الجزيرة الراكبة للنيل
والنيل يطيف بها وقد أمر فأسرج في جانب الجزيرة وجانب
الفسطاط الف مشعل غير ما اسرج اهل مصر من المشاعل
والشمع وقد حضر بشاطيء النيل في تلك الليلة آلاف من
الناس من المسلمين ومن النصارى منهم في الزوارق ومنهم في
الدور الدانية من النيل ومنهم على سائر الشطوط لا يتناكرون

كل ما يمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب والملابس وآلات
الذهب والفضة والجوهر والملاهي والعزف والقصف وهي
احسن ليلة تكون بمصر واشملها سروراً ولا تطلق فيها الدروب
ويفطس اكثرهم في النيل (١)

ومن الادلة التي نتخذها على ما كان بين المسلمين
والنصارى من حسن المعاملة وجميل المجاملة في العهد العباسي
ما رواه القاضي التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة واخبار
المذاكرة قال نقلاً عن عم ابي الحسن بن مكرم القاضي (٢)

كنت خصيصاً بأبي الحسن علي بن عيسى وزير المقتدر
بالله العباسي وربما شاورني في شيء من امره فدخلت عليه
يوماً وهو مغموم جداً فقدرت انه بلغه عن المقتدر امر كرهه
فقلت هل حدث شيء؟ واومأت الى الخليفة فقال ليس
غمي من هذا الجنس ولكن ما اشد منه فقلت ان جاز ان
اقف عليه فلعلني اقول شيئاً فقال نعم كتب اليّ عاملنا بالثغر
ان اسارى المسلمين في بلد الروم كانوا على رفقٍ وصيانة الى
ان ولي آتفا ملك الروم حدثان فعسفا الأسارى واجاعاهم

(١) خطط المقرئ ج ٢ ص ٢٦

(٢) نشوار المحاضرة ص ٣٠

واعر باهم وعاقبهم وطالبهم بالتنصر وانهم في جهد جهيد وبلاء
 شديد وليس هذا مما لي فيه حياة لانه امر لا يبلغه سلطاننا ولا
 الخليفة ولا يطاوعاني فكنت اتفق الاموال واجتهد واجهز
 الجيوش حتي تطرق القسطنطينية فقلت ايها الوزير: ههنا رأي
 أسهل مما وقع لك يزول به هذا فقل قل يا مبارك فقلت ان
 بانطاكية عظيم للنصارى يقال له البطرك وبيت المقدس
 آخر يقال له الجاثليق وامرهما ينفذ على ملك الروم حتى انهما
 ربما حرما الملك فيحرم عندهم ويحمله فيدخل وعند الروم ان
 من خالف منهم هذين كفر وانه لا يتم جلوس الملك ببلد الروم
 الا برأي هذين وان يكون الملك قد دخل الى بيعتهما ويقرب
 بهما والبلدان في سلطاننا والرجلان في ذمنا فيأمر الوزير بان
 يكتب الى عاهلي البلدين باحضارهما وتعريفهما ما يجري على
 الامارى وان هذا خارج عن الملة وانهما ان لم يزيلا هذا لم
 يطالب بجزيرته غيرها وينظر ما يكون الجواب قال فاستدعى
 كاتباً وأملى عليه كتاباً في ذلك واتفذهما في الحال وقال
 سرّيت عني قليلاً وافترقتا فلما كان بعد شهرين وايام وقد
 أنسيت الحديث طلبني اليه فركبت وانا مشغول القلب بمعرفة
 السبب الذي دعيت لاجله حتى وصلت اليه فوجدته مسروراً

فحين رأني قال يا هذا احسن الله جزاءك عن نفسك ودينك
 وعني فقلت ما الخبر؟ فقال كان رأيك في امر النصارى
 ابرك رأي واصح وهذا رسول العامل قد ورد بالخبر واوماً
 اليه ان يخبرنا بما جرى فقال الرجل انفذني العامل مع رسول
 البطرک والجاثليق برسالتهم الى قسطنطينية وكتبنا الى ملكيها:
 انكما قد خرجتما عن ملة المسيح بما فعلتماه بالاسارى ولكن ليس
 لكم ذلك فانه حرام عليكما ومخالف لما امرنا به المسيح من
 كذا وكذا وعددا اشياء من دينهما فاما زلتما عن هذا واستأنفتما
 الاحسان الى الأسرى وتركتما مطالبتهم بالتنصر والا
 لعنا كما على هذين الكرسيين وحررنا كما . قال فمضيت مع
 الرسول فلما حضرنا بقسطنطينية حجت عن الملكين اياما وحنوا
 بالرسول ثم استدعياني اليهما فسلمت عليهما فقال لي ترجمانهما .
 يقول لك الملكان ان الذي بلغ ملك العرب من فعلنا
 بالاسرى كذب وتشنيم وقد اذنا في ادخالك دار البلاط
 لتشهد اسراركم فترى احوالهم بخلاف ما بلغكم وتسمع من
 شكرهم لنا ضد ما اتصل بكم قال ثم حملت الى دار البلاط
 فرأيت الاسارى وكان وجوههم قد اخرجت من القبور تشهد
 بالضرر وما كانوا فيه من العذاب الا انهم صرفهون في ذلك

الوقت وتأملت الى ثيابهم فاذا جميعها جدد ففلمت اني منعت
من الوصول تلك الايام حتى غير زيي الأسارى وقال لي
الأسرى نحن للملكين شاكرون فعل الله بهما وصنع واوماوا
الي ان الأمر كان كما بلغكم ولكنه خفف عنا وأحسن انينا
بعد حصولك هنا وقالوا لي كيف عرفت حالنا ومن تنبه علينا
وانفذك بسببنا ؟ فقلت لهم . ولي الوزارة علي بن عيسى فبلغه
ذلك فأنفذ من بغداد وفعل كذا وكذا قال فضجوا بالدعاء
الى الله تعالى للوزير وسمعت امرأة منهم تقول صر يا علي بن
عيسى لا نسي الله لك هذا الفعل قال فلما سمع ذلك علي بن
عيسى أجهش بالبكاء وسجد سجداً لله تعالى وبرّ الرسول وصرفه .
ونقل ايضاً عن اسان اسير من المسلمين قال (١) لما أسرنا في بلاد
الروم صرت بنا شدايد فحصلنا عدة ليالي لا ننام من البرد وكنا
نتلف ثم دخلنا قرية فجاءنا راهب فيها بأ كسية وقطف ثقيلة
دفيئة فغطى جميع الأسارى كل واحد بواحدة فبتنا تلك
الليلة فأقامونا في تلك القرية اياماً فكانت سبيلنا هذه ثم نقلونا
الى أخرى فعادت حالنا في العرى والبرد الى الاولى فسألنا
عن السبب في ذلك فقالوا : ان رجلاً ببغداد من التجار يقال

له ابن رزق صهر ابن ابي عون توصل الى ان حصلت له هذه
 الأكسية والقطف عند الراهب بفراوات مال جليل وسأله
 ان ينجلي بها من يحصل في قرية من أسارى المسلمين وضمن
 له ان ينفق على بيعة في بلد الاسلام بازاء هذا في كل سنة شيئاً
 ما دامت الأكسية محفوظة للأسارى فالراهب يفعل ذلك
 في هذه القرية وما قبلها وما بعدها ليس فيها شيء من هذا
 فأقبلنا ندعو لابن رزق الله كلما لقمنا البرد ولحقتنا الشدة
 ونحن لا نعرفه . اه

قلنا وفي ما أبداه البطريرك الانطاكي والجاثليق
 الأورشليمي من الاهتمام بامر الأسارى وحملها على ملكي
 القسطنطينية تلك الحملة الصادقة ما يدل على رضاها عن
 تصرفات الحكومة اذ ذلك وحسن معاملتها للنصارى وسريان
 روح الالفة والارثام بين الفريقين وفي عمل ذلك التاجر المسلم
 وذلك الراهب النصراني من حب الخير والبر ما يذكر
 بالاعجاب والثناء .

ومما يجوز ان نتخذه دليلاً على إباء النصارى وشمهم في
 الدور العباسي ان ابا الفرج منصور بن بشر النصراني الكاتب
 كان منقطعاً الى ابي العباس بن ماسرجس الطيب فانفذه مرة

الذي ابي عمر اسمعيل بن احمد عامل البصرة في بعض حاجاته
فعاد من عنده مفضباً لانه لم يستوف له القيام عند دخوله
واراد ابو العباس انفاذه بعد ايام فأبى وقال

لو أعطيتني زورق ابن الخواستيني مملوءاً كيمياء كل
مئقال منه اذا وضع على الف مئقال صفر صار ذهباً ابريزاً ما
مضيت اليه فأمسك عنه مفيظاً وهذا زورق معروف بالبصرة
وحمله ثلاثمائة الف رطل (١) فاذا كان كاتب طبيب يأنف من
الذهاب الى عامل كبير لانه لا يفهم حق القيام فان في هذا
الاباء دلالة على ان رجال الدولة كانوا في ذلك الزمن قد
عودوا النصارى على القيام لهم وازالتهم الحرمة والرعاية التامة .
هذا غير ما كان يعامل به خلفاء بني العباس الاطباء
والحكباء من النصارى والتعويل عليهم في المهمات واستعمالهم
في ترجمة الكتب من السريانية واليونانية واللغات الاجنبية
الاخرى واخبار الرشيد والمؤمن مع امثال هؤلاء مستفيضة
في الكتب .

في الدولة الفاطمية

ظهرت هذه الدولة في المغرب ثم امتد سلطانها الى مصر

والشام والعراق وعاشت نحو مائتي عام وأولت إقباط مصر
ثقتها وولت رجالهم المناصب العالية فكان منهم الوزراء وكان
منهم رؤساء الدواوين ورجال المال والأعمال نذكر منهم عيسى
بن نسطورس بن سورس وموسى بن شهلول والشافي زرعة بن
عيسى بن نسطورس والرئيس فهد بن ابراهيم وصاعد بن عيسى
بن نسطورس والشرف بن اسعد ومنصور بن سورس بن
مكراوه وغيرهم ممن يطول ذكر اسمائهم واستقصاء أخبارهم .

وكان لا بد من ظهور آثار لهذا الاشتراك المسيحي في
إدارة الأحكام فأخذ النصارى يعتزون برجالهم حتى بلغ
الأمر بالخلفاء أن يأمرؤا بتعطيل الدواوين أيام اعياد النصارى
الكبرى وإقامة معالم الزينة والمهرجانات فيها وهذا المقرر يزي
يذكر لنا في كتابه المسمى بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط
والآثار أن ليلة عيد الميلاد كان يفرق فيها أيام الدولة الفاطمية
على أرباب الرسوم من الاستاذين المحنكين والامراء المطوقين
وسائر الموالي من الكتاب وغيرهم الجلمات من الحلاوة
القاهرية والمفارد التي فيها السميد وقرب الجلاب وطماير
الزلاية والسمك المعروف بالبوري (١)

الضرب خمسمائة دينار تعمل خرايب اي قطع صغيرة وتفرق
في اهل الدولة برسوم مقررة (١) وقد زيدت هذه حتى بلغت
ضعفها (٢)

على ان اكثر البذخ كانت تعامله الدولة في عيد النوروز
القبلي اذ تعطال فيه الاسواق ويمتنع الناس عن الاعمال وتفرق
فيه الكسوة الفاخرة لرجال اهل الدولة واولادهم ونسائهم
والرسوم من المال وحوائج النوروز من عين وورقٍ وبين ذلك
البطيخ والزمان وعراجين الموز وافراد البسر واقفاص التمر
والسفرجل والعتاب والهريسة المممولة من لحم الدجاج والضان
والبقر والخبز الى غير ذلك من الاعطية التي ذكرها المقريزي
عن تقدمه (٣) والتي يطول شرحها لو تفصيناها .

ولا يطعن في تسامح الفاطميين وتسامحهم ظهور امثال
الحاكم بامر الله احد خلفائهم وهدمه كنيسة القيامة وبعض كنائس
مصر ومحاولته هدم كنيسة المهد في بيت لحم وحمله النصرى
على حمل صليب من الخشب في رقابهم بوزن معلوم واليهود

(١) خطط المقريزي ج ٢ ص ٢٧

(٢) « « ٢ ص ٣٢٢

(٣) « « ٢ ص ٣٨٩

على حمل قطعة من الخطب بذلك الوزن نفر يقاً لهم عن المسلمين
 ثم رجوعه الى الصواب واعادة ما تهدم من الكنائس فان في
 تصرفاته الغربية ما انكرها المسلمون واستأثروا منها اكثر من غيرهم
 فقد ابدع لهم بدعة في الدين لا تزال مستمرة الى يوم الناس هذا
 واذا اردنا ان نقيم لكم الدليل على ما قلناه نظن ان سيء
 سرد القصة الآتية الفناء فقد روت لنا التواريخ ان المسلمين
 لما تخرجت صدورهم من اعمال بعض عمال الحكام كتبوا قطعة
 وعلقوها في صدر مثال امرأة فيها: بالذي اعز النصرانية
 بنسطورس واليهود بمنشي واذل الاسلام بك الا ما كشفت
 عنا فراها وقد كان كثير الجولان في الاسواق فأمر بقتل
 المشتكى منها بمجرد القول وهو عمل الى الجنون اقرب منه الى
 العقل وقد قتل كثيراً من سراة المسلمين وقضاةهم ووزرائهم
 فهو مجموعة عجائب وغرائب
 والذي أراه ان الحكام بامر الله كان يرمي بتلك البدعة
 التي ابدعها الى غرض سياسي البسه لباس الدين ليستميل
 الناس اليه والدين سلطان تغزله النفوس ونحنني أمامه الرقاب
 وما زلنا نرى امثلة من ذلك حتى في هذه النصور الراقية فان
 بعض الحكومات كانت تطارد الرهبان في بلادها وتناق

الكنائس دونهم ثم تأتي الى الشرق وتطالب بحمايتهم باسم
الدين المسيحي وكذلك اليهود فانهم لما اجتمعوا امرهم بينهم على
القدوم الى فلسطين بقضيتهم وقضيتهم ومهاجرتها بخيلهم ورجلهم
مهد دعواتهم الطريق الى ذلك بان في فلسطين هيكلهم
ومقادسهم وان داعية الدين تدعوهم الى الرحلة اليها والاقامة فيها
ثم سمعنا رجالات بعض الدول يقولون من على رؤوس
منابرهم ان فتح بيت المقدس هو آخر حلقة من سلسلة الحروب
الصليبية التي استنزفت قوى المسلمين والنصارى آماداً طويلة
فما عتونا ان رأينا تلك الدولة تدفع بمصير بيت المقدس وفلسطين
كلها الى احضان الصهيونية ولا تبالي ان تقول انها ستحافظ
على حقوق النصارى والمسلمين الدينية والمدنية كأن ديتنا
ودنيانا اوشكا ان يصبحا تحت رحمة الصهيونيين الى غير ذلك
من الامثلة الموفورة المشهورة

وكما ان رجال القضاء والادارة والسياسة في الدول
العربية قد احسنوا معاملة النصارى كل الاحسان وقابل هوؤلاء
ذلك بمثله فاخلصوا الخدمة ومحضوا النصح لمخدوميهم فان رجال
العلم لم يغمطوهم حقهم فذكروا لكل شهيد منهم اختصاصه وعلمه
ودونوا لهم فضيلتهم وفضائلهم وترى الامثلة على ذلك ماثلة في

كتب التاريخ والتراجم فنخص بالذكر منها كتاب الفهرست
 لابن النديم ومعجم الادباء لياقوت الحموي واخبار الحكماء
 باخبار الحكماء لجمال الدين القفطي وعيون الانباء في طبقات
 الاطباء لابن ابي اصيبعة ووفيات الاعيان لابن خلكان وفوات
 الوفيات لابن شاكر الكتبي وغيرهم من مؤلفات المسلمين الممتعة
 وبعد انقراض الدولة الفاطمية ويقال لها العبيدية وتسمى
 ايضا العلوية استولى على الملك آل ايوب باسم الدولة السلجوقية
 ثم استقلوا بالحكم وكانت الحروب الصليبية اخذت تشتد بين
 المسلمين والنصارى وظلت هذه الحروب زهاء قرنين تهلك
 الحرث والنسل وتشغل الشرق والغرب الى ان سكنت ريجها
 وخذت نارها بيد ان في الحروب الصليبية نفسها ظهرت
 مكارم اخلاق من قواد الفريقين المتحاربين واهم ما فيها سماح
 ملوك بني ايوب لنصارى الفرنجة بالاقامة وفتح الاديبار في
 الارض المقدسة والحرب حامية الوطيس وما زلنا نرى اوامرهم
 الخطية محفوظة في دير الفرنسي سكان بيت المقدس وقد آل
 امر الحكم الى دول المماليك التي كانت عربية الظاهر اعجمية
 الباطن وكانت الجروح التي خلفتها الحروب الصليبية لم
 تندمل بهد فصار النصراني يوجس خيفة من المسلم والمسلم

يتوقع شرًا من النصراني واصبح كل منهما يتربص بأخيه
 الدوائر الى ان ظهرت الدولة العثمانية واستخلصت القسطنطينية
 من ايدي اليونان واتخذتها قاعدة الملك ودار الخلافة فتساهلت
 مع المغلوبين واقرتهم على ما في ايديهم من نعمة وعادة وطاس
 واخذ النصراني يعودون الى سابق مجدهم فكان منهم الوزراء
 والحكام والقضاة وكان رجال الدين منهم بوجه خاص
 موضع الحرمة ومحل الاعتبار من اكبر بطريركية الى اصغر
 ابرشية على ما كنتم ترونه بأمر العيين وتلمسونه لمس اليد حتى
 في ايام نكبة تلك الدولة الاخيرة التي قضت عليها وعلينا معا
 ولعل العرب كانوا اكثر خسارة من الاتراك فقد احتفظ
 هولاء باستقلالهم ودافعوا عنه بروؤس الخراب وقوة العقيدة
 واضعناه نحن بالتخاذل والتناقر والتنابد وضعف الايمان
 واستسلام الزعماء وقادة الافكار الى المستعمرين وجعلهم
 انفسهم مطايا لهم .

ومن اسباب النفور بين الفريقين في ايام العثمانيين ان
 نصارى العجم واعني بهم الفلاق والبغدان والصرب والبلفار
 واليونان والارمن الذين كانوا يستثقلون الحكم العثماني سواء
 لاسلاميته او لثقل وطأته ويجاولون التخلص منه اخذوا

يطمحون الى الانفصال عن الدولة وقد نال اكثرهم مبتغاهم
فصارت الدولة الاسلامية تنظر الى النصارى بعين الخذر
وسرى ذلك الى افراد الامة فتأصلت بين الفريقين العداوة
والبغضاء واضمحلت استصطالها من اعصاب الامور

ولا بد من كلمة حق نسوقها ونحن في اواخر الحديث ان
المدارس الاجنبية قد عملت على توسيع شقة الخلاف بين ابناء
الوطن الواحد فاذا كان لها حسنة تعليمنا وثقافتنا فان لها سيئة
نفكناك رابعتنا واضعاف قوميتنا وهي سيئة تذهب تلك
الحسنة وتفقدها مزيتها فصرنا نرى ان النصراني والمسلم اللذين
كانا قبل جيل واحد يعيشان عيشة الاخوان لا يختلفان في
الزى والعاطفة يشتركان في السراء والضراء قد اختلفت
وجهات نظرم وتمددت مذاهبهم السياسية فأصبح المتعلم في
احدى المدارس الاجنبية يعتقد ان الامة التي درس آدابها
وتخلق باخلاقها هي اعدل امم الارض قاطبة وان مدينتها لا
تعلموها مدينة ناسياً انه من ابناء امة لها خطرها واثرها الماثور
في الحضارة وقدمها الراسخ في العلوم والآداب .

وان له كما لا وئلك قومية يجب ان يفديها بالنفس والنفس

فمسي ان ثوب الى رشدنا وان نحافظ على كرامتنا

وان نعلم علم اليقين وان نستمد اعتقاداً جازماً بان
الانكليزي والافرنسي والاميركي والتلياني وغيرهم من الامم
لا يقبلون بعدتنا في عدادهم وادخالنا في زمرتهم ولو نحن
تأذناهم وتفرنسنا وتأصركنا وتتلينا اعتزازاً منهم بقومياتهم
واحتقاراً لنا ولقوميتنا والسلام على من عرف قدر نفسه
فانزلها منزلتها ووضعها في موضعها ولم يضعها ولم يضعها

اصلاح خطأ

حدث اغلاط مطبعية طفيفة هذه اظهرها

صواب	خطأ	صفحة
الامين المأمون	الامين والمأمون	٦
البلاذري	البياذري	١٠
المشكى منها	المشكى منها	٣٦

obeikandi.com

التفاحة

مجلة عربية ادبية جامعة

صاحبها - جميل البحري - حيفا ص ٢٤١

لقد صدرت هذه المجلة الحيفاوية مسدة خمس سنوات متتابعة وتدرجت في مدارج الرقي حتى اصبحت في مقام ينظر اليها فيه كبار العلماء الاعلام بعين العطف والتقدير وهي تصدر مرة في الشهر بجزئين متفرقين جزء ضخيم طافح بالابحاث التاريخية والادبية والعلمية والاجتماعية والقصائد الشعرية لمشاهير الادباء والشعراء وملحق روائي يرسل مع كل عدد ويحوي اشهر الروايات الادبية والاخلاقية والتاريخية اشتراكها ٦٠ غرشاً في فلسطين و٧٥ في الخارج

السهم

جريدة عربية حرة

لقد نالت هذه الجريدة بالرغم من حداثة عهدتها شهرة واقبالاً قلما نالتها جريدة عربية فلسطينية اخرى لما تحويه من وطنية في المبدأ واخلاص في الخدمة وحرية وصراحة في الرأي وصدق في سرد الحوادث فضلاً عن علم غزير وادب جم وهي تعنى بكل ماله علاقة بفلسطين وسكانها خاصة وبالبلاد العربية عامة وتنشر ايضاً اهم اخبار العالم ولها عناية خاصة باطلاع الجمهور على ما ينشر في فلسطين من القوانين والانظمة وما يجري فيها من الحوادث

صاحبها ومحررها : جميل البحري : عنوانها : حيفا صندوق البريد ٢٤١
مدير ادارتها : حنا البحري اشتراكها ٨٠ غرشاً في فلسطين ومئة في الخارج